دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	علاقة علوم الحديث بمناهج البحث العلمي واقعا وتطلعا
المصدر:	فكر وإبداع - مصر
المؤلف الرئيسي:	أبوخزيم، محمد عبدالسلام كامل
المجلد/العدد:	ج78
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2013
الشهر:	أغسطس
الصفحات:	11 - 54
رقم MD:	472639
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	علماء السنة، السنة النبوية، علوم الحديث، البحث العلمي، البرامج التعليمية، تكنولوجيا المعلومات، الإسلام و العلم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/472639

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

علاقة علوم الحديث بمناهج البحث العلمي واقعا وتطلعا

د/ محمد عبد السلام كامل أبو خزيم (*)

مقدمـــة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته وسار على سيرته إلى يوم الدين، وبعد:

فيهدف هذا البحث إلى بيان أثر علوم الحديث في ضبط مناهج البحث العلمي (الاستقرائية، والاستنباطية، والوصفية، والنقدية، والتاريخية، والإحصائية) وذلك من خلال عرض العلاقة بين هذه المناهج التي تعتمد عليها العلوم الإنسانية وبين علوم الحديث رواية ودراية التي أقامها علماؤنا السابقون على أسس متينة ، وقواعد راسخة رصينة ، فأتحفوا التاريخ بأصول علمية لا تزال موضع إعجاب في الأوساط العلمية المشهود لها بالإنصاف ..... هذا بالنسبة للواقع ، أما بالنسبة للتطلعات فيهدف البحث إلى طرح بعض الرؤى التي نتطلع إليها في سياق الإضافة والتجديد.

وينقسم البحث بعد هذه المقدمة الوجيزة إلى تمهيد ، وخمسة محاور ، وذلك على النحو التالي:

(*) أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية البنات جامعة عين شمس .

التمهيد : في التعريف بمنهج البحث العلمي وأنواعه

المحور الأول: علاقة مراحل دراسة الحديث وعلومه بالمنهج التاريخي: واقعا وتطلعا.

المحور الثاني: علاقة علم تخريج الحديث بالمنهج الاستقرائي الإحصائي: واقعا وتطلعا.

المحور الثالث: علاقة علوم الحديث دراية بالمنهج الوصفي النقدي: واقعا وتطلعا.

المحور الرابع: علاقة علوم الحديث رواية بالمنهج الاستقرائي الاستنباطي : واقعا وتطلعا.

المحور الخامس: علاقة النظر في المتون بالمنهج التحليلي النقدي: واقعا وتطلعا.

وبالله التوفيق

تمهيـــــد

في التعريف بمناهج البحث العلمي وأنواعه

أولا: التعريف بمناهج البحث العلمي:

المناهج في اللّغة جمع منهج ، والمنهج مصدر من نهج ينهج نهجا، أي طرق وسلك واتّبع[1] ، وهو ما يعني أنه الطريق المتّبعة لبلوغ هدف معيّن

والمنهج في البحث العلمي يعُرَّف بعدة تعريفات متقاربة ، منها:

١- أنه: الطّريق أو الأسلوب الذي يسلكه الباحث العلمي في تقصيه للحقائق العلمية في أيّ فرع من فروع المعرفة، وفي أي ميدان من ميادين العلوم النظرية والتجريبية[2].

٢- أو أنه : "ذلك الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل ، وتحدد عملياته حتى تصل إلى نتيجة معلومة" [3] .

ثانيا: أنواع مناهج البحث العلمي:

تتعدّد مناهج البحث العلمي بتعدد الميادين العلمية ، وأبرز مناهج البحث العلمي:

١- المنهج الوصفي:

وهو المنهج الذي يستند إلى وصف الظواهر والمصطلحات كما هي[4].

---

(1) انظر: لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (نهج) ، ط. دار صادر ، بيروت .
(2) مناهج البحث العلمي في الإسلام ، غازي حسين عناية، ص ٧٩- ط. دار الجيل، بيروت-لبنان .
(3) مناهج البحث العلمي ، د/ عبد الرحمن بدوي ، ص ٥ ، ط. الكويت .
(4) مناهج البحث العلمي في الإسلام ، غازي حسين عناية، ص ٨٦.

٢- **المنهج الإحصائي :**

وهو المنهج الذي يقدم المعلومات الرقمية التي تساعد على التحليل واستخلاص النتائج [١] .

٣- **المنهج الاستقرائي:**

وهو المنهج الذي يعتمد على جمع الأدلة التي تساعد على إصدار تعميمات أو أحكام [٢].

ويستعمل هذا المنهج في العلوم التجريبية المتنوعة التي تعتمد على الملاحظة والتجربة ثم الكشف أو الفرض ثم البرهان والتثبت من صحة الفرضيات ، كما يمكن أن يستعمل أيضا في العديد من الدراسات الإنسانية على تنوعها واتساعها.

٤- **المنهج التاريخي:**

وهو المنهج الذي يستند فيه الباحث إلى استرداد الماضي تبعا لما تركه من آثار أيا كان نوعها[٣]، وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية بشكل خاص ، وسائر العلوم الإنسانية بشكل عام بهدف استعادة ما أنتجه السابقون واستحضاره لبحثه ودراسته ؛ وهو يتداخل إلى حد كبير مع المنهج الاستقرائي السابق ذكره ، ويعد مدخلا لطرائق المنهج الاستنباطي الآتي ذكره.

٥- **المنهج الاستنباطي:**

وهو المنهج الذي ينطلق من مبادئ (معطيات) ثابتة إلى نتائج تتضمنها وتنتج عنها، وبعبارة أخرى هو: تفكيك القضية إلى أجزائها لإحكام

---

(١) انظر: البحث العلمي ومناهجه النظرية: رؤية إسلامية، د/ سعد الدين صالح، ص ٤٤، ط. مكتبة الصحابة، جدة.
(٢) مناهج البحث العلمي في الإسلام ، غازي حسين عناية، ص ٨٥.
(٣) المرجع السابق ، ص ٨٦.

العلاقة الاستدلالية بين الأصل وما يتفرع عنه[1]، ويستعمل هذا المنهج في العلوم الرياضية، وسائر الدراسات الإنسانية، وهو منهج يعتمد طرق التّحليل والتّركيب، والمقارنة والتّقسيم، بهدف الوصول إلى الاتفاق والافتراق، وطرح ما يمكن طرحه، وإضافة ما يمكن إضافته.

المحور الأول

علاقة مراحل دراسة الحديث وعلومه بالمنهج التاريخي

الواقع والتطلع

لقد مرت دراسة الحديث الشريف وعلومه بعدة مراحل ، تعد كل مرحلة منها حاسمة في بابها وخلاصة لعصرها ، كما تعد كذلك مقدمة ممهدة للمرحلة التالية بعدها .

ويقسم الدكتور فاروق حمادة ــ أحد الباحثين المميزين في دراسة الحديث الشريف وعلومه ــ هذه المراحل إلى :

١- مرحلة التأسيس : واستغرقت القرن الأول الهجريّ .

٢- مرحلة التأصيل : وكانت على مدى القرن الثاني الهجريّ .

٣- مرحلة النضج والرسوخ : وكانت على مدى القرن الثالث الهجريّ .

٤- مرحلة الاستكمال : وكانت على مدى القرنين الرابع والخامس الهجريين .

٥- مرحلة الجمع والترتيب والتمحيص والتدقيق والشرح : وتبدأ من القرن السادس الهجريّ حتى وفاة الإمام الجليل جلال الدين السيوطي سنة ٩١١ هـ .

---

(1) انظر: منهج البحث في العلوم الإسلامية ، د/ محمد الدسوقي ، ص ١٠٣ وما بعدها ، ط. دار الثقافة قطر ، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.

٦- مرحلة الركود والتـقليد : وكانت بعد عام ٩١١ هـ حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجريّ ، وإن كنا لا نعدم في هذه المرحلة بعض الجهود المبذولة في التخريج وشرح الحديث .

٧- مرحلة الانبعاث والنهضة: وتبدأ بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجريّ حتى يومنا هذا[١].

ويرى كاتب هذه السطور أن كل مرحلة من هذه المراحل في حاجة إلى كشف النقاب عنها ، ولذا فهو في رؤيته التطلعية في هذا الخصوص يدعو الباحثين في مجال الدراسات الحديثية إلى سبر أغوار كل مرحلة من هذه المراحل ، بما ينتهي بنا إلى الوقوف جلياً على مدى عناية المسلمين بدراسة السنة النبوية وعلومها من لدن الصحابة إلى يومنا هذا عناية بالغة ، تمثلت في التأليف فيها رواية ودراية ، على أن تشتمل دراسة هذه المراحل على مناهج البحث الوصفية والتحليلية والنقدية .

فالدراسات السابقـة في هذا المجال يغلب عليها الاكتـفاء بالعرض الإجمالي لهذه المـراحل ، وإن شئت فقل لبعضها ، وهو اتجاه تلقاه لاحق عن سابق ولم يضف إليه ، وإن كنا لا نعدم بعض الدراسات الأكاديمية القيمة التي عرضت بتفصيل واستـيعاب لبعض هذه المراحل ، مما يجعلها أسـاسًا متيناً نستطيع أن نبنى عليه في هذا المجال، مثل دراسـة الدكتور/ محمد عجاج الخطيب (السنة قبل التدوين)، ودراسة الدكتور/ رفعت فوزي (توثيق السنة في القرن الثاني الهجريّ: أسسه واتجاهاته) ، ودراسة الدكتور/ عبد المجيد محمود (الاتجاهات الفقهية عند المحدثين في القرن الثالث الهجريّ) ، وغيرها.

---

(٩) تطور دراسات السنة النبوية ونهضتها المعاصرة وآفاقها ، د / فاروق حمادة ص ١٧ ، ١٨ بتصرف ـ ط. دار إحياء العلوم ببيروت ، ودار الثقافة بالدار البيضاء ـ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م .

وقد اختطت رؤيتي التطلعية فيما يتعلق بمراحل دراسة السنة النبوية وعلومها سبيلاً يتلخص في ضرورة تسليط الضوء على عدد من المسائل المهمة المتعلقة بكل مرحلة من هذه المراحل .

ففي المرحلة الأولى (مرحلة التأسيس) التي استغرقت القرن الأول الهجريّ ينبغي أن يكون التركيز على الأسس الآتية:

أولاً : الحرص على سماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : أن المرء لا يحدث إلا بما استقر في نفسه أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف أو تبديل ، أي : حفظ الأحاديث والتـــثـــبُّت في روايتها .

ثالثاً : التأكد من أن راوي الحديث لا يؤدى إلا ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رابعاً : نشأة بذور الإسناد .

خامساً: عرض الحديث على النصوص الثابتة والمبادئ الإسلامية .

سادساً: تدوين السنة في صحائف ، ووضع ضوابط للرواية من المدونات .[١٠]

ولعل إبراز الأساس السادس الذي يعنى بتدوين السنة في الصحائف حفظتها ، وأعانت الذاكرة على ضبطها وصيانتها ، والذي تؤيده الكثير من النصوص ، والأحاديث المرفوعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والموقوفة على الصحابة والتابعين يرد ردًّا قاطعاً على الشبهات المثارة حول

(١٠) انظر : المدخل إلى توثيق السنة وبيان مكانتها في المجتمع الإسلاميّ ، د / رفعت فوزي ص ٤٦ ـ الناشر / مؤسسة الخانجي بمصر ١٩٧٨ م .

تدوين السنة ، ويدحض الزعم الذي يقول : إن الأحاديث لم تكتب في القرن الأول الهجريّ .

كما يكون التركيز أيضاً في هذه المرحلة على إبراز الأسس التي وضعها التابعون رضي الله عنهم لتوثيق السنة وحفظها من التحريف والزيف، ودراستها دراسة تحليلية ، وهذه الأسس مجملة هي :

أولاً : نقد الرجال .

ثانيا : الاهتمام بالإسناد .

ثالثاً : الحفظ والسماع والتثبت في الأداء .

رابعاً : نقد متن الحديث ، وعرضه على النصوص أو القياس .

خامساً : تدوين السنة ووضع ضوابط لهذا التدوين .[١]

وكما نرى فإن هذه الأسس الخمسة تتعلق بتوثيق السنة سندًا ومتنًا ، ودرايةً وروايةً ، مما من شأنه أن يحافظ عليها ويجعلها صحيحة نقية .

٢- وفي المرحلة الثانية (مرحلة التأصيل) والتي كانت على مدى القرن الثاني الهجريّ : يجب أن يكون التركيز على دراسة الموضوعات الآتية دراسة منهجية وافية ، وهذه الموضوعات هي:

أولاً : الأسباب التي دفعت إلى المزيد من توثيق السنة في القرن الثاني الهجريّ .

ثانيا: التدوين الرسمي الشامل للسنة في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

---

(١١) المرجع السابق ص ٥٥ .

ثالثاً : إفراد الحديث النبوي بالتأليف على طريقة المسانيد، بعد أن كان مختلطاً بأقوال الصحابة والتابعيين .

رابعاً : ظهور التآليف في الرواة وفي علل الحديث .(١)

٣- وفي المرحلة الثالثة (مرحلة النضـــج والرسوخ) والتي كانت على مدى القرن الثالث الهجريّ ، وهي المرحلة التي وصفها الراحل الكبير الدكتور / مصطفي السباعي بقوله : « إنها أزهي عصور السنة ، وأسعدها بأئمة الحديث وتآليفهم العظيمة الخالدة ». (٢)

ففي هذا القرن توفرت المناهج الحديثية القوية المتينة ، وكان العطاء الحديثي الناضر الذي لم يذبل على امتداد العصور ، وكان ما بعده عالة عليه.

في هذه المرحلة : يجب أن يكون التركيز على إبراز أهم ملامحها من خلال وضع دراسات متعمقة مشتملة على مناهج البحث الوصفية والتحليلية والنقدية ، ويمكن أن يعرج في هذه الدراسات المتعمقة على المتن الموجز الذي كتبه الدكتور فاروق حمادة عن ملامح هذه المرحلة ، التي من أهمها :

أولاً : نضوج القواعد التأصيلية التي يتم على أساسها تمحيص السنة النبوية، والتي سُمِّيت فيما بعد بمصطلح الحديث أو قواعد علم الحديث .

ثانيا : جمع النصوص النبوية مفردة عن غيرها في صورة مسانيد ومصنفات ، ثم في صورة صحاح جوامع ، ثم في صورة سنن نبوية على الطريقة الفقهية .

---

(١٢) المرجع السابق ص ٦١ ، ٦٢ .
(١٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ ، د / مصطفي السباعي ص ١٠٣ ، ط . المكتب الإسلاميّ ببيروت ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٥ م .

ثالثاً : ظهور المؤلفات في مجالات : تراجم الرجال ومعرفتهم ، والجرح والتعديل ، ومعرفة علل الحديث ، ومعرفة غريبه .(١)

٤- وأما في المرحلة الرابعة (مرحلة استكمال جهود القرن الثالث الهجريّ) والتي كانت على مدى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، فإن المأمول من الدراسات الحديثية المعاصرة ــ وهي تعرض لهذه المرحلة التي شهدت تتابع ظهور المؤلفات في مجال جمع النصوص النبوية ، ومجال معرفة الرجال والأسانيد والعلل ــ أن تركز على أمرين يعدان من أبرز سمات هذه المرحلة ، وهما :

أولاً : العرض المنهجيّ الوافي للمؤلفات التي ظهرت في هذه المرحلة في مجال مصطلح الحديث ومعرفة علومه ، والتي حاول مؤلفوها أن يستوعبوا نظرات السابقين في القواعد الاصطلاحية ، ويصوغوها في إطار علمي رصين يتسم بالأصالة ، مثل مؤلفات : الرامهرمزى (المتوفى ٣٦٠ هـ) والحاكم النيسابورى (المتوفى ٤٠٥ هـ) ، والخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣ هـ) ، وغيرها .

ثانياً : التأكيد على أنه إذا كانت هذه المرحلة مرحلة استكمال واستدراك في جوانب المعرفة الحديثية على أيدى أئمة كبار، إلا أنه برز نوع جديد من المعرفة الحديثية، وهو فقه الحديث والاستنباط منه، وشرح نصوصه وتقريبها للناس، لا على طريقة الفقهاء ، بل على نسق المحدثين ، وذلك في مؤلفات تهذيب الآثار لابن جرير الطبري (المتوفى ٣١٠ هـ)، وشرح معاني الآثار للطحاوي (المتوفى٣٢١ هـ)، ومعالم السنن للخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ)، والتمهيد

(١٤) انظر تطور دراسات السنة النبوية ونهضتها المعاصرة وآفاقها ص ١٨ ــ ٣٠ .

والاستذكار لابن عبد البر (المتوفى ٤٦٣هـ)، والمنتقى لأبى الوليد الباجي (المتوفى ٤٧٤ هـ)، وشرح السنة للبغوي (المتوفى ٥١٦هـ) ، وغيرها .

٥- وأما في المرحلة الخامسة (مرحلة الجمع والترتيب والتمحيص والتدقيق والشرح) والتي تبدأ من القرن السادس الهجريّ وتستمر حتى وفاة الإمام جلال الدين السيوطي سنة ٩١١ هـ ، فإن الباحث في هذه المرحلة لواقف ــ لا محالة ــ أمام مكتبة حديثية لا تضاهى في تعدد توجهاتها وكثرة مؤلفاتها التي تخدم الكتب التي سبقتها وتستقى من معينها ، وتحافظ على وجودها واستمرارها .

ويكفي أن نذكر أن من أعلام هذه المرحلة الذين أثروا المكتبة الحديثية بمؤلفاتهم : القاضي عياض (المتوفى ٥٤٤ هـ) ، والأئمة : ابن الجوزي (المتوفى٥٩٧ هـ) ، وابن الأثير الجزري (المتوفى ٦٠٦ هـ) ، وابن الصلاح (المتوفى ٦٤٣هـ) ، والنووي (المتوفى ٦٧٦هـ) وابن دقيق العيد (المتوفى ٧٠٢ هـ) ، وابن تيمية (المتوفى ٧٢٨هـ) ، والمزي (المتوفى ٧٤٢هـ) ، وشمس الدين الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ) ، وابن القيم (المتوفى ٧٥١هـ) ، وابن كثير (المتوفى ٧٧٤ هـ) ، وزين الدين العراقي (المتوفى ٨٠٦هـ) ، والهيثمي (المتوفى ٨٠٧ هـ) ، وابن حجر العسقلانى (المتوفى ٨٥٢ هـ) ، وبدر الدين العيني (المتوفى ٨٥٥هـ) ، والسخاوي (المتوفى ٩٠٢هـ) ، وجلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ) .

وأحسب أن ما قدمته هذه المرحلة المهمة من زخم علمي هائل ، تنوعت فيه المصنفات الحديثية ما بين جمع وترتيب وتخريج وتبويب

وتمحيص وتدقيق وشروح وتعليقات واختصارات ومؤلفات في مصطلح الحديث ومعرفة علومه لهو كفيل بأن يكون دَيْـناً معلقاً في رقاب الباحثين المعاصرين في مجال الدراسات الحديثية ، لن يتحللوا من سداده إلا عن طريق تقديم دراسات متعمقة ، تكشف النقاب وتميط اللثام عن هذه المرحلة ، في إطار منهجي رصين ، قائم على التوصيف والتحليل والنقد الموضوعيّ ، وهو ما تدعو إليه رؤيتنا التطلعية في هذا الخصوص .

٦- وأما المرحلة السادسة (مرحلة التقليد والركود) والتي تبدأ بعد عام ٩١١ هـ وحتى منتصف القرن الرابع عشر الهجريّ ، فإن البحث فيها يجب أن يتوجه إلى بعض الجهود المبذولة في التخريج وشروح الحديث ، في ظل الركود الفكريّ الذي كان يسـيطر على العالم الإسلاميّ أغلب هذه الفترة ، وتعد أبرز هذه الدراسات من تصانيف: على القاري (المتوفى ١٠١٤ هـ) ، والمنـاوي (المتـوفى ١٠٣١هـ) ، والعجـلوني (المتـوفى ١١٦٢هـ) ، وولى الله الدهـلوي (المتوفى ١١٧٤هـ) ، ومحمد بن إسماعيل الصنعاني (المتوفى ١١٨٢هـ) ، والزبيدى (المتوفى ١٢٠٥هـ) ، والشوكاني (المتوفى ١٢٥٠هـ) ، واللكنوى (المتوفى ١٣٠٤هـ) .

٧- وأما المرحلة السابعة (مرحلة الانبعاث والنهضة) والتي تبدأ بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجريّ وحتى يومنا هذا ، فإن البحث فيها يكون بتسليط الضوء على الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية التي حاولت أن تؤصل لمنهجية في التعامل مع الدراسات الحديثية ، وقد جمع الدكتور عبد الجبار سعيد هذه الجهود في المحاور الرئيسية التالية :

أولاً : تجديد التأليف في علوم الحديث وأصول نقده وتاريخه ، اعتمادًا على ما ألفه السابقون ، ولكن بلغة تلائم هذا العصر ، وتسهل تقديم هذا العلم إلى الطلبة والمهتمين به ، وأبرز هذه المؤلفات على سبيل المثال : (السنة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ) للدكتور مصطفي السباعي ، و (السنة قبل التدوين) للدكتور محمد عجاج الخطيب ، و (منهج النقد في علوم الحديث) للدكتور نور الدين عتر ، و (الفكر المنهجيّ عند المحدثين) للدكتور همام سعيد ، وغيرها كثير .

ثانياً : إخـــراج الكثير من المخطـــوطات إلى حيز الوجود ، والعـــمل على تحقـــيقها ، وقد تمحورت هذه الجهود حول كتب السنة النبوية وكتب نقد الرجال وكتب علوم الحديث وغيرها ، ومع أن كثيرًا من هذه الجهود أخذ طابعاً تجارياً ، إلا أنها في مجموعها خدمت السنة خدمة جيدة .

ثالثاً : ظهور الدراسات الموضوعية في السنة النبوية التي تسهم في تقديم السنة النبوية بلغة العصر للمهتمين ، فضلاً عن تسهيل توظيف السنة في خدمة المناحي الحياتية ، وقد برز هذا النمط من التأليف في الرسائل الجامعية وبحوث الترقية .

رابعاً : الفهارس والتصانيف التي أسهمت في تسهيل الوصول إلى مواضع الحديث ، مثل المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، وغيرها من الفهارس والتصانيف التي ألفت في هذا المجال .

خامساً: البرمجيات الحاسوبية : وهذه البرمجيات وإن أخذت في طابعها العام البعد التجاري أيضاً ، إلا أنها قدمت خدمة كبيرة من حيث تسهيل

الوصول إلى مواطن الحديث في كتب السنة والمعلومات المتعلقة به إسنادًا ورجالاً ، ودلالةً وشرحاً ، وقد اشتهر منها : البرنامج الخاص بالكتب التسعة (موسوعة الحديث النبوى) ، والموسوعة الذهبية التي صدرت مؤخراً .

ولكاتب هذه السطور تعليق على هذه البرمجيات الحاسوبية سيذكره في موضعه من هذه الدراسة.

سادساً: المؤتمرات والندوات المتعلقة بالسنة النبوية على المستوى المحلى والإقليمي والدولي ، وهي كثيرة جداً ، وقد عرض لمعظمها الأستاذ محيي الدين عطية في الجزء الأول من كتاب : (ندوة السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة) التي عقدها المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ بالتعاون مع مؤسسة آل البيت في عمان عام ١٩٨٩م.[١]

تلكم أبرز المراحل التي مرت بها دراسة الحديث الشريف وعلومه ، وهي بحاجة إلى استـنفار جهود الباحثين لسبر أغوارها وتجلية غوامضها، وهو ما تدعو إليه رؤيتنا التطلعية في هذا الخصوص .

ويتكامل ما يتعلق بمراحل دراسة الحديث الشريف وعلومه مع ما يتعلق بمناهج المحدثين في التعامل مع السنة سندا ومتناً ، وتنطلق هذه الدراسة في رؤيتها التطلعية لما يتعلق بمناهج المحدثين من تقرير حقيقة أن السنة النبوية قد قامت في جمعها ونقلها وتمحيصها والتصنيف فيها على مناهج متينة ، وقواعد راسخة رصينة ، منذ عهد الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ وعلى مدى قرون عديدة .

---

(١٥) انظر : منهجية التعامل مع السنة النبوية ، د/ عبد الجبار سعيد ص ٣ ـ بحث منشور بمجلة إسلامية المعرفة التي يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، العدد ١٨.

وفي هذا السياق ينقل الدكتور فاروق حمادة عن أحد المؤرخين غير المسلمين قوله: « وأول من نظم نقد الروايات التاريخية ووضع القواعد لذلك علماء الدين الإسلاميّ، فإنهم اضطروا اضطراراً إلى الاعتناء بأقوال النبيّ صلى الله عليه وسلم وأفعاله لفهم القرآن ، ففسروا ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ على أن ما تلي منه فهو قرآن، وما لم يتل فهو السنة، فانبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها، فأتحفوا التاريخ بقواعد لا تزال في أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا»، ويقول هذا المؤرخ عن منهجية كتاب (الإلماع) للقاضي عياض: « والواقع أنه ليس بإمكان أكابر رجال التاريخ اليوم أن يكتبوا أحسن منها في بعض نواحيها وذلك على الرغم من مرور أكثر من سبعة قرون عليها ، فإن ما جاء فيها من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج تحت عنوان: (تحرى الرواية والمجيء باللفظ) يضاهي ما ورد في الموضوع نفسه في كتب الفرنجة في أوربا وأمريكا ... إلى أن يقول : وبإمكاننا أن نصارح زملاءنا في الغرب فنؤكد لهم بأن ما يفاخرون به من هذا القبيل وترعرع في بلادنا ، ونحن أحق الناس بتعليمه ، والعمل بأسسه وقواعده » .[١]

وتعليقاً على الفقرة الأخيرة (ونحن أحق الناس بتعليمه ، والعمل بأسسه وقواعده) يؤكد كاتب هذه السطور في رؤيته التطلعية لما يتعلق بمناهج المحدثين أننا بحاجة ماسة إلى الوقوف على هذه القواعد العلمية الرصينة ، والمناهج البحثية المتينة ، ونشرها على المستوى الثقافي ، عن طريق مسارات متنوعة ، تأخذ تارة شكل القضايا الكلية ، وتأخذ تارة أخرى

(١٦) تطور دراسات السنة النبوية ونهضتها المعاصرة وآفاقها ، د/ فاروق حمادة ص ٧٦ ، ٧٧ نقلا عن مصطلح التاريخ لأسد رستم ، المقدمة ص : أ ، ز . نشر المكتبة البوليسية بيروت .

شكل القضايا الجزئية من خلال حقبة زمنية معلومة، أو كتب محددة ، أو مؤلفين معينين ، وقد تأخذ أشكالاً أخرى تابعة لرؤى واتجاهات الباحثين .

وأما القضايا الجزئية المتعلقة بمناهج المحدثين فإن البحث فيها قد يكون من خلال حقبة زمنية معلومة ، مثل : مناهج المحدثين في كل قرن من القرون الهجرية الفائتة ، وقد يكون من خلال كتب محددة ، مثل : مناهج كتب الصحاح أو السنن أو المسانيد ، وقد يكون من خلال موضوعات معينة، مثل : منهج المحدثين في الكشف عن العلة في الحديث ، أو نقد المتن وعلاقته بالحكم على رواة الحديث عند علماء الجرح والتعديل ، وقد يكون غير ذلك .

المحور الثاني

علاقة علم تخريج الحديث بالمنهج الاستقرائي الإحصائي

الواقع والتطلع

لقد بذلت جهود كبيرة في مجال تخريج الحديث النبوي ودراسة الأسانيد ، وفي هذا المحور سنتحدث عن استثمار هذه الجهود والعمل على الإضافة إليها ، وذلك عن طريق :

أولاً : العمل على إعادة التأكيد على أصول نقد الحديث وضرورة الاهتمام بالمتن إلى جانب السـند ، لأنه برغم ما وضع من قواعد علم أصول المصطلح وأصول نقد الحديث سنداً ومتناً ، فإننا نرى تجاوزاً كبيراً لهذه القواعد ، إذ يكتفي في كثير من الأحيان بالنظر إلى الإسناد دون المتن ، وفي معظم الأحيان يعتمد فقط على كتاب : (تقريب التهذيب) للحافظ ابن حجر العسقلاني في الحكم على رجال الإسناد ، ويزداد

هذا الإشكال وضوحاً عندما يكون الراوي ممن تعارضت فيهم أقوال علماء الجرح والتعديل ، فهذا باحث يوثِّــقه ويصحح الحديث ، وآخر يضعِّــفه ويضعف الحديث تبعاً لذلك، بل نفس الباحث قد يقع في هذا التناقض في كتابه الواحد ، مما يجعلنا بحاجة لإعادة التأكيد على أصول نقد الحديث ، وضرورة الاهتمام بالمتن إلى جانب السند.(١)

ثانياً : السعي الدؤوب لطبع كتب السنة طباعة مضبوطة موثقة مرقمة مفهرسة ، حتى تحقق أكبر إفادة مرجوة منها .

ثالثاً : العمل على تحقيق المزيد من استثمار البرمجيات الحاسوبية ووسائل التقنية الحديثة في خدمة الحديث الشريف للتيسير على الباحثين في الوصول إلى مواطن الحديث في كتب السنة ، والمعلومات المتعلقة بها إسناداً ومتناً ..... بيد أن هذه البرمجيات بحاجة إلى مزيد من الاهتمام والتطوير عن طريق :

أ. التشديد على أن تكون هذه البرمجيات وفق طبعات صحيحة وأصول موثقة ، وإلا فإن الجهود ستكون ناقصة وتحتاج إلى إعادة .

ب. الخروج من إسار نقل الكتب المؤلفة وبرمجتها إلى الإبداع في التصنيف والتحقيق والشرح والتعليق ، وغير ذلك مما لا بُدّ من مراعاته ، ويتطلب تجاوز البعد التجاري التسويقي إلى المضمون العلمي والإضافات الإبداعية .

(١٧) انظر : منهجية التعامل مع السنة النبوية ، د / عبد الجبار سعيد ص ١ .

رابعاً : العمل على تقريب السنة إلى الباحثين والدارسين : وذلك عن طريق « بذل الجهود لإنجاز موسوعة شاملة لرجال الحديث ، حاصرة لجميع الرواة ، ولكل ما قيل فيهم من وصف وتعريف ، أو توثيق وتضعيف ، حتى الوضاعين والكذابين ، وموسوعة أخرى لمتون الأحاديث بأسانيدها وبكل طرقها ، جامعة لكل ما روى من السنة ونسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من كل المظانّ الممكنة ، والمصادر المطبوعة والمخطوطة » .[١]

ويكون الهدف المنشود من وراء هذا العمل الكبير هو إنجاز موسوعة لصحيح الحديث وحسنه ، وأخرى لضعيفه ، وثالثة لواهيه وموضوعه ، وفقاً للمعايير العلمية الدقيقة التي وضع قواعدها المحققون من علماء السنة .

ويجب أن تبوَّب هذه الموسوعات تبويباً جديداً مستوعباً ، وتفهرس فهرسة حديثة شاملة .

وللدكتور فاروق حمادة نظرات جيدة في مسألة : (تقريب السنة إلى الباحثين والدارسين) أراني بحاجة إلى عرضها للإفادة منها ، يقول : « وهناك عمل يستحق الإشارة إليه والتنويه بقدره ، ألا وهو إنجاز موسوعة لأحاديث الأحكام التي يستدل بها في كل باب من أبواب الفقه حسب الترتيب الفقهي ، وجمعها في مكان واحد حسب الأبواب ، واستبعاد ما لا يصلح للاستدلال من الضعيف والواهي والموضوع ... ولو تجرد لهذا العمل مجموعة من الشبان المتمكنين في علم الحديث بإشراف عدد من الأساتذة ؛ لكان بالإمكان إنجازه بسهولة وفي وقت قصير ، وهو في غاية النفع لدارسي الفقه وغيرهم .

---

(١٨) راجع : كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ معالم وضوابط ، د / يوسف القرضاويّ ص ١٨٣ .

ومن الخير العميم أيضاً إعادة النظر في (المعجم المفهـــرس لألفاظ الحديث النبوى) بضبط مواده ضبطاً صحيحاً واستكمالها، واستكمال الكتاب كذلك؛ لأن فيه نقـــصاً في المواد وخللاً في ترتيبها، على أن يتوسع فيه بإدخال كتب أخرى إلى مصادره من كتب السنة المطبوعة، ويتبع ذلك أيضاً توسيع كتاب (مفتاح كنوز السنة) في مواده ومصادره، فإن توسيع دائرة هذين الكتابين المهمين أو إنشاء موسوعات جديدة على غرارهما من الأهمية بمكان، حتى يستطيع الباحث والدارس للسنة أن يجد أطراف الموضوع الذي يريد النظر فيه بسهولة وفي وقت قصير ، وهذا من أجلِّ الأعمال في تقريب السنة وتيسيرها » .

ويستطرد الدكتور فاروق حمادة قائلاً : « وإذا كانت كتب الرجال ، وطبقات حفاظها ، ومكانتهم في الرواية وعلم الجرح والتعديل ، قد طبع جلها وأهمها وأجمعها ، فإنه يمكن لهذه الكتب أن تضم جميعها ، وتدقَّـــق تدقيقًا علميًّا ، وترتب بمنهجيته متميزة ، حتى يكون الناظر فيها على بينة كاملة من تقويم كل راوٍ ، مع الإشارة إلى مصادر ترجمته ، وإلى جانب هذا يوضع معجم للصحابة يضم جميع المصادر الموجودة ، وينسق بينها ، وينقحها ، حتى تنتهي عملية تزوير تاريخ الصحابة واختلاف شخصيات يعدونها فيهم وهم ليسوا منهم » .[1]

(١٩) تطور دراسات السنة النبوية ونهضتها المعاصرة وآفاقها ، ص ٧٨ – ٨١ بتصرف .

المحور الثالث

علاقة علوم الحديث دراية بالمنهج الوصفي النقدي

الواقع والتطلع

يجب على كل من يتعامل مع السنة النبوية لكي ينفي عنها انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين أن يستوثق من ثبوت السنة وصحتها ، حسب الموازين العلمية الدقيقة التي وضعها الأئمة الأثبات ، والتي تشمل السند والمتن جميعاً ، سواء أكانت السنة قولاً أم فعلاً أم تقريراً .

ولا يستغنى باحث هنا عن الرجوع إلى أهل الذكر والخبرة في هذا الشأن ، وهم صيارفة الحديث الذين أفنوا أعمارهم في طلبه ودراسته وتمييز صحيحه من سقـيمه .

وقد أسس القوم للحديث علمًا ثابت الجذور ، باسق الفروع ، هو للحديث بمنزلة علم أصول الفقه للفقه ، وهو في الواقع مجموعة من العلوم ، بلغ بها ابن الصلاح في مقدمته (خمسة وستين نوعاً) ، وزاد عليها من بعده ، حتى أوصلها السيوطي في (تدريب الراوي) إلى (ثلاثة وتسعين نوعاً).[١]

ولسنا هنا بصدد التفصيل في جميع شروط توثيق الحديث والحكم عليه سنداً ومتناً ، بل نكتفي بما ذكره العلماء من أن الحديث الصحيح هو : «ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله ، وسَـلِم من شذوذ وعلة»[٢]، والحديث الحسن على المشهور عندهم هو : « ما كان ضبط رواته أو بعضهم أقل من رواة الصحيح » .[١]

---

(٢٠) كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ د/ يوسف القرضاوي ص ٣٣

(٢١) انظر: مقدمة ابن الصلاح ص ٨٢ ـ تحقيق الدكتورة/ بنت الشاطئ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م .

(٢٢) المصدر السابق ص ١٠٤ ، وانظر : شرح نخبة الفكر لابن حجر ص ٥٥ ، ٥٦ ط . مصطفي الحلبي بالقاهرة .

فخفة الضبط هي الفارقة بين الصحيح والحسن ، فالراوي في كلا النوعين من الحديث (الصحيح والحسن) عدل ، لكن ضبطه في الحسن أقل من ضبطه في الصحيح ، وليس تامًا مثله .

وتركز الرؤية التطلعية في مجال علم المصطلح على الخطوات التي باتت ضرورية في دراسة مصطلح الحديث، والتي تتمثل فيما يلي :

أولاً : ضرورة وضع معجم للمصطلحات الحديثية على جهة الاستقصاء والشمول ، وذلك باستقصاء المصطلح الحديثي نشأة وتطورًا ودلالة، مع بيان مواضع وروده والتوسع في معرفته مصطلح الحديث وغيرها .[١]

وقد قام الدكتور / نور الدين عتر في فهارس كتابه القيم (منهج النقد في علوم الحديث) بوضع معجم للمصطلحات الواردة في كتابه ، عبارة عن (فهرس ألف بائي مبتكر لأنواع علوم الحديث وسائر مصطلحات المحدثين)، وهو جهد مشكور، وسيفيد كثيراً في وضع المعجم المنشور للمصطلحات الحديثية.

ثانياً : تحرير وتأصيل المسائل المتعلقة بخبر الآحاد الذي يجب أن يشغل مساحة كبيرة في دراسات مصطلح الحديث تتناسب مع الحجم الكبير الذي يمثله في كتب السنة بالقياس لما روى متواترًا .

وفي رأيي أنه بالإضافة إلى ما تعرضه غالب كتب مصطلح الحديث قديماً وحديثاً فيما يخص خبر الآحاد من تعريف له وبيان لأقسامه ولما يفيده، وقد يضيف بعضها شروط العمل به سواء المتعلقة بالمخبر (الراوي) أو

(٢٣) تطور دراسات السنة النبوية ونهضتها المعاصرة وآفاقها ص ٨١ .

المتعلقة بالمخبر عنه (مدلول الخبر) أو المتعلقة بالخبر (اللفظ) ، فإن الباحث المجدد في هذه القضية مدعو للعمل على تحقيق الأهداف الآتية :

١- تحرير أدلة الاحتجاج بخبر الواحد ، ودفع الشبهات التي أثارها منكرو أن يكون خبر الواحد حجة أو مصدرًا من مصادر التشريع .

٢- الاطلاع على الثروة الأصولية التي خلَّفها علماء أصول الفقه فيما يخص خبر الواحد .

٣- التعاطي والتفاعل بين دراسات المحدثين والأصوليين فيما يخص خبر الواحد .

٤- بيان طرق الصحابة في العمل بخبر الواحد .

٥- بيان طرق أئمة المذاهب الفقهية في العمل بخبر الواحد .

وأحسب أن هذه الأهداف ستغطى كثيرًا من الجوانب البحثية لمن يريد أن يقوم جديدًا في المسائل المتعلقة بخبر الآحاد على المستويين التنظيري والتطبيقي .

ومن أمثلة القضايا الكلية التي يرى الباحث ضرورة التركيز عليها ودرسها واستنباطها ، والإفادة من جهود السابقين فيها : معرفة أصول الرواية وقواعد الجرح والتعديل التي وضعها نقَّاد الحديث ، حتى يميزوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيره ، وحتى يحمل الرواة الحديث ويؤدوه دون تغيير أو تبديل ، وهذه القواعد وتلك الأصول مدونة ومتناثرة في مؤلفات توثيق السنة السابقة ، وقد جمع أساسياتها وعرض لها بإجمال الدكتور / رفعت فوزي في مؤلفه: (المدخل إلى توثيق السنة وبيان مكانتها في بناء المجتمع الإسلاميّ) في الصفحات من ٦٩-٩٣ ، وختمها

بقوله : « وبعد : فلعلنا بعد هذا على ثقة من أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأصول والقواعد قد أحيط بسياج منيع من الحفظ والصون اللذين يحميانه من وضع الواضعين وخطأ الواهمين وتزييف المزيفين ، الأمر الذي يجعلنا ننهل من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مطمئنون».[1]

وسيجد الباحث في هذه القضية مادة بحثية جديدة يرد بها رداً منهجياً دقيقاً على الشبهة المثارة حول عدم منهجية المحدثين في أسباب الجرح والتعديل ، وهي شبهة تتهافت أمام القواعد العلمية الرصينة التي وضعها نقاد الحديث وأئمة الجرح والتعديل .

المحور الرابع

علاقة علوم الحديث رواية بالمنهج الاستقرائي الاستنباطي

الواقع والتطلع

سنتحدث في ها المحور عن علاقة علوم الحديث رواية مثل : أسباب الورود ، ومختلف الحديث ، والناسخ والمنسوخ ، واللغة) بالمنهج الاستقرائي الاستنباطي ، وذلك على النحو التالي :

(أ) بخصوص فهم الأحاديث في ضوء أسباب ورودها وملابساتها :

يجب أن يعلم الباحثون والدارسون أن من حسن الفقه للسنة النبوية النظر فيما بنى من الأحاديث على أسباب خاصة ، أو ارتبط بعلة معينة ، منصوص عليها في الحديث ، أو مستنبطة منه ، أو مفهومة من الواقع

(٢٤) المدخل إلى توثيق السنة وبيان مكانتها في بناء المجتمع الإسلاميّ ، د/ رفعت فوزي ص ٩٣ .

الذي سيق فيه الحديث ، وأيضًا معرفة الملابسات التي سيق فيها النص ، وجاء بـــياناً لها وعلاجها لظروفها ، حتى يتحدد المراد من الحديث بدقة ، ولا يتعرض لشطحات الظنون ، أو الجري وراء ظاهر غير مقصود .[١]

ومما لا يخفي أن علم أسباب ورود الحديث طريق قوى لفهم الحديث، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ، ويرى الدكتور يوسف القرضاويّ أنه «إذا كانت أسباب نزول القرآن مطلوبة لمن يفهمه أو يفسره، أن يعرض للجزيئات والآنيات ، إلا لتؤخذ منها المبادئ والعبر ، أما السنة فهي تعالج كثيراً من المشكلات الموضعية والجزئية والآنية ، وفيها من الخصوص والتفاصيل ما ليس في القرآن ، فلا بد من التفرقة بين ما هو خاص وما هو عام ، وما هو مؤقت ، وما هو خالد ، وما هو جزئي ، وما هو كلى ، فلكل منها حكمه ، والنظر إلى السياق والملابسات والأسباب يساعد على سداد الفهم واستقامته لمن وفقه الله .[٢]

والتصور الذي أطرحه للتجديد فيما يتعلق بـــ (فهم الأحاديث في ضوء أسباب ورودها وملابساتها) يتمثل فيما يأتي :

(أ) ضرورة الاهتمام بموضوع : (أسباب ورود الحديث) والتصنيف فيه ، لأنه لم يبحث حتى الآن بالقدر الذي يتناسب مع أهميته [١]، ولذا فهو في أمس الحاجة إلى بحوث ودراسات ، تجمع أطرافه ، وتسبر أغواره ، وتكشف عن فوائده في تخصيص العام ، وتقيـــيد المطلق ، وتفصيل المجمل،

---

(٢٥) كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ معالم وضوابط ص ١٢٥.

(٢٦) المرجع السابق ص ١٢٦ .

(٢٧) أشار الدكتور يحيى إسماعيل في تحقيقه لكتاب (اللمع في أسباب ورود الحديث) للسيوطي ص ٥٨ ، ٥٩ أنه لا يوجد بين أيدى الباحثين دراسات متعلقة بأسباب ورود الحديث سوى (اللمع في أسباب ورود الحديث) للسيوطي المتوفى ٩١١هـ ، و(البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف) لأبى حمزة الدمشقي المتوفى ١١١٠هـ .

وتوضيح المشكل ، وبيان علة الحكم ، وبيان الناسخ والمنسوخ ، إلى غير ذلك .

وينبغي أن يلتفت الباحثون إلى أن السبب قد ينقل في نفس الحديث ، وقد لا ينقل في نفس الحديث وينقل في بعض طرقه، مما يستوجب العناية به.

(ب) دراسة أحاديث وقائع الحال والظروف الخاصة دراسة متعمقة ، وهذا النوع من الأحاديث قسمان :

القسم الأول : أحاديث صرح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه أنها ظنٌّ منه ، أو ليست وحيًا من الله ، وإنما اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم ، وعلاج لمشكلة خاصة ، وأحاديث هذا النوع قليلة [1] ، ومنها حديث : « **أنتم أعلم بأمر دنياكم** » [2] ، وقد عرضت له بشيء من التفصيل في المبحث الأول من هذه الدراسة .

والقسم الثاني : أحاديث وردت في وقائع خاصة ، ولها أسباب معينة، مثل الحديث الذي يشير إلى امتناع النبيّ صلى الله عليه وسلم عن التسعير[1] ، والحديث الذي يشير إلى منع المرأة من السفر إلا ومعها محرم[2] ، فمثل هذه الأحاديث ينبغي أن تفهم في ضوء فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد ، وفي ضوء القاعدة التي تقول : الحكم يدور مع علته

---

(٢٨) علوم الحديث ، د/ إسماعيل سالم ص ٨٨ ط. دار الثقافة العربية بالقاهرة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
(٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي ١٨٣٦/٤ حديث رقم (٢٣٦٣) عن عائشة وأنس بن مالك .
(٣٠) وهو ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يا رسول الله ، سعر لنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى ربى وليس أحد منكم يطلبني بظلمة في دم ولا مال ». أخرجه الترمذي في سننه ـ كتاب البيوع ـ باب ما جاء في التسعير ٥٦/٣ حديث رقم (١٣١٨) ، وقال عنه : حديث حسن صحيح .
(٣١) وهو ما رواه ابن عباس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم » . أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج ـ باب حج النساء ١ / ٣١٩ .

وجودًا وعدمًا ، وفي ضوء حسن تنزيل النصوص النبوية على الواقع ، واتفق تماماً مع الدكتور عبد الجبار سعيد في قوله : « ليس المقصود بقولنا مراعاة الواقع أن نلوى أعناق النصوص ، ونحملها ما لا تتحمل لتراعى واقعنا ، وإنما المقصود إحسان فهم الواقع ، وإحسان تنزيل النص عليه ، بعد إحسان فهم النص أيضاً في ضوء القواعد المتبعة » .[1]

٢- وبخصوص الجمع أو الترجيح بين مختلف الحديث [2] : فمن المعلوم عند العلماء والمحققين أن الأصل في النصوص الشرعية أن لا تتعارض ؛ لأن الحق لا يعارض الحق ، فإذا افترض وجود تعارض ، فإنما هو في ظاهر الأمر لا في الحقيقة والواقع ، وكان علينا أن نزيل هذا التعارض المُدَّعَى .

وإذا أمكن إزالة التعارض بالجمع والتوفيق بين النصين، بدون تمحل واعتساف بحيث يعمل كل منهما، فهو أولى من اللجوء إلى الترجيح بينهما، لأن الترجيح يعني إهمال أحد النصين، وتقديم الآخر عليه.

فمن الأمور المهمة لحسن فهم السنة : التوفيق بين الأحاديث الصحيحة التي تتعارض ظواهرها ، وتختلف ــ لأول وهلة ــ معاني متونها ، والجمع بين بعضها وبعض ، ووضع كل منها في موضعه الصحيح، بحيث تأتلف ولا تختلف ، وتتكامل ولا تتعارض [1] ، مثل الأحاديث التي وردت في إسبال الإزار ، وقد بينا هذا في موضعه من هذه الدراسة عند الحديث عن ضرورة عرض السنة على السنة سنداً ومتناً .

فإذا لم يمكن الجمع والتوفيق بين ما ظاهره التعارض رجحنا أحد النصين على الآخر بمرجحات فصلها المحدثون والفقهاء ، وعرض لها

---

(٣٢) انظر : منهجية التعامل مع السنة النبوية ص ١٣ .
(٣٣) مختلف الحديث : هو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرا فيفوق بينهما أو يرجح أحدهما = تدريب الراوي في شرح تقريب النواوى للسيوطي ١٩٦/٢ .
(٣٤) كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ د/ يوسف القرضاوي ص ١١٣ .

الدكتور / نافذ حسين حماد في رسالته : (مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين) .

ومما لا شك فيه أن قضية مختلف الحديث والكشف عن منهج العلماء (المحدثين والأصوليين والفقهاء) في الجمع أو الترجيح بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث من المباحث الجديدة بالاهتمام والبحث والدراسة .

وترنو رؤيتنا التطلعية المتعلقة بدراسة مختلف الحديث إلى تحقيق ما يأتي :

(أ) إزالة الشبهات التي أثيرت قديمًا وحديثًا حول التعارض بين بعض الأحاديث ، وإيضاح وجه الحق فيها فقد وجدنا كثيراً من المغرضين الذين أثاروا الشبهات لم يتوخوا الحقيقة العلمية ، وإنما ساقتهم أهواؤهم إلى ما قاموا به من طعن أو تشكيك ، وصاروا يرددون أقوال المستشرقين من غير نظر أو تمحيص .

ومن ناحية أخرى نرى بعض المبتدئين في النظر في علوم الشريعة لا يحسنون التعامل مع هذه الأحاديث [1] ، مما يستوجب دراسة هذا الموضوع دراسة متعمقة مستفيدة من منهج العلماء في التوفيق بين الأحاديث المختلفة .

(ب) توجيه أنظار الباحثين إلى دراسة موضوع : (مختلف الحديث) دراسة بينية متعددة الجوانب : الحديثية والأصولية والفقهية ؛ لأن لمختلف الحديث تعلقًا وارتباطاً بالحديث وعلومه والفقه وأصوله .

---

(٣٥) انظر : مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين ، د/ نافذ حسين حماد ص ٦، ٧ ط. دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

ولله در الإمام النووي حين قال عن مختلف الحديث : « هذا فن من أهم الأنواع ، ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف ..... ، وإنما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه ، والأصوليون الغواصون على المعاني » .[1]

٣ــ ومما يتصل بموضوع (مختلف الحديث) معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه .

وقضية النسخ لها صلة بعلوم القرآن ، كما لها صلة بعلوم الحديث ، وفي الحديث يلجأ البعض إلى القول بالنسخ إذا عز عليه الجمع بين الحديثين المتعارضين ، وعرف المتأخر منهما .

ويرى الدكتور يوسف القرضاويّ أن « دعوى النسخ في الحديث أضيق مساحة من دعوى النسخ في القرآن ، مع أن الأمر كان يجب أن يكون بالعكس ، إذ الأصل في الأصل في القرآن أن يكون للعموم والخلود، أما السنة فمنها ما يعالج قضايا جزئية وأحوالا مؤقتة ، بحكم إمامتـــه صلى الله عليه وسلم للأمة ، وتدبيره لأمورها اليومية » .[1]

ومن ثم يجب على المعاصرين من طلبة العلم أن يهتموا بدراسة ناسخ الحديث ومنسوخة ؛ لكونه من ضرورات الفقه والاجتهاد .

وأهم ما تدعو إليه رؤيتنا التطلعية في هذا الخصوص هو الوقوف حقيقة على الناسخ والمنسوخ من الأحاديث ، لأن كثيراً من الأحاديث التي ادُّعى نسخها يتبين عند التحقيق أنها غير منسوخة ، فقد يكون من الأحاديث ما يراد به العزيمة ، ومنها ما يراد به الرخصة ، فيبقى الحكمان كلاهما ،

(٣٦) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوى ١٩٦/٢ .
(٣٧) كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ ص ١٢١ .

كل في موضعه وقد يكون بعض الأحاديث مقيداً بحالة ، وبعضها الآخر بحالة أخرى ، وتغاير الحالات لا يعنى النسخ .[1]

فالأمر يحتاج إلى تدقيق وتمحيص، واجتهاد ومثابرة، والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

٤- **وبخصوص الدلالات اللغوية** يجب أن يكون الاهتمام موجها لمسألتين مهمتين :

المسألة الأولى : التأكد من مدلولات ألفاظ الحديث لفهم السنة فهما صحيحاً .

فإن الألفاظ قد تتغير دلالاتها من عصر لآخر ومن بيئة لأخرى ، وهذا أمر معروف لدى الدارسين لتطور اللغات وألفاظها وأثر الزمان والمكان فيها .

فقد يصطلح الناس على ألفاظ للدلالة على معان معينة ، ولا مُشاحَّة في الاصطلاح ، ولكن المخوف منه هو حمل ما جاء في السنة من ألفاظ على المصطلح الحادث ، وهنا يحدث الخلل والزلل[1].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام تبدل مدلولات كلمة التصوير مثلا ، حيث يقع الكثيرون في الخطأ عندما يسحبون ما جاء من أحاديث في شأن تحريم التصوير على التصوير الفوتوغرافي ، مع أن المتأمل جيداً يجد أن التصوير بالكاميرا لم يكن موجوداً في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فلا يدخل في دلالات الأحاديث الواردة في التصوير ، هذا من جهة ،

---

(٣٨) المرجع السابق ص ١٢٢ .
(٣٩) كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ د/ يوسف القرضاويّ ص ١٧٩ .

ومن جهة أخرى فإن كلمة التصوير المذكورة في الأحاديث كانت تتوجه دلالتها المباشرة إلى ما يسمى اليوم بالتصوير المجسم (النحت) ، وبهذا لا يدخل التصوير الفوتوغرافي ضمن ذلك المفهوم ليأخذ حكمه . [١]

المسألة الثانية : التفريق بين الحقيقة والمجاز في فهم الأحاديث :

فإن لغة العرب فيها الحقيقة والمجاز ، وإن إغفال التفريق بينهما يوقع في كثير من الخطأ.

وفي هذا السياق أدعو الباحثين إلى الإفادة مما ذكره ابن حزم حول هذه المسألة ، فبعد أن عرض للحديث الصحيح : « **سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة** » [٢] ، وللحديث الصحيح : « **ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة** » [٣] ..... قال : « هذان الحديثان ليس على ما يظنه أهل الجهل من أن الروضة مقتطعة من الجنة ، وأن هذه الأنهار مهبطة من الجنة ، هذا باطل وكذب » ، ثم ذكر ابن حزم أن معنى كون تلك الروضة من الجنة إنما هو لفضلها ، وأن الصلاة فيها تؤدى إلى الجنة ، وكما قال صلى الله عليه وسلم : « **واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** » [١] ، ومثل ذلك حديث : « **الحجر الأسود من الجنة** » [٢] ، فهذه الأخبار ليست على ظاهرها . [٣]

---

(٤٠) انظر : منهجية التعامل مع السنة النبوية ، د / عبد الجبار سعيد ص ١٢ .

(٤١) صحيح مسلم ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤ / ٢١٨٣ حديث رقم (٢٨٣٩) عن ابن هريرة .

(٤٢) صحيح مسلم ـ كتاب الحج ـ باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ١٠١٠/٢ حديث رقم (١٣٩٠) عن عبد الله بن زيد .

(٤٣) صحيح البخاري ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب الجنة تحت بارقة السيوف ١٤٠/٢ ، ١٤١ ، وصحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب كراهة تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ١٣٦٣/٣ حديث رقم (١٧٤٢) عن عبد الله بن أوفي .

(٤٤) سنن الترمذي ـ كتاب الحج ـ باب ما جاء في فضل الحجر الأسود ٢٢٦/٣ حديث رقم (٨٧٧) عن عبد الله بن عباس ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٤٥) المحلى لابن حزم ٢٨٣/٧ ، ٢٨٤ ، ط. دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

هذا هو موقف ابن حزم المعروف بظاهريته وتمسكه بحرفية النصوص إلى حد كبير ، ومع هذا لم يسغ عنده أن تحمل هذه النصوص على ظواهرها ، لأنها ستوقع في كثير من الخطأ .. وبتعبيره هو : «فإنما يظن ذلك أهل الجهل» .

بيد أننا في هذه الرؤية التطلعية التي تدعو إلى التفريق بين الحقيقة والمجاز ؛ لكي تُـفْهم الأحاديث فهمًا صحيحاً ، نحذر من التوسع في التأويلات المجازية ، دون أن يكون لذلك أســاس صحيح ، فهذا باب خطر ، يؤدى إلى اعتساف في الرأي ومزالق في التأويل ، على النحو الذي فعله الباطنية حين أوّلوا السحور الوارد في الحديث الصحيح : « **تسحروا فإن في السحور بركة** » [1] بالاستغفار .

ولا ريب أن الاستغفار بالأسحار من أعظم ما حثت عليه نصوص القرآن والسنة ، ولكن كونه المراد بالحديث هنا اعتساف مردود على قائله ، ولا دليل عليه من العبارة ولا من السياق .[1]

المحور الخامس

علاقة النظر في المتون بالمنهج التحليلي النقدي

الواقع والتطلع

نجد في الواقع أن عددًا غير قليل من الباحثين المعاصرين يكتفون بصحة السند أو حسنه؛ ليحكموا على الحديث كله بالصحة أو بالحسن، فيصبح مقبولاً، ويعد ديناً يتعبد به، والويل لمن خالفه، مع أن هذا الحديث ربما يكون شاذًّا أو معلًّلا في إسناده أو في متنه.

---

(٤٦) صحيح البخاري ـ كتاب الصوم ـ باب بركة السحور ٣٢٩/١ ، وصحيح مسلم ـ كتاب الصيام ـ باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر ٧٧٠/٢ حديث رقم (١٠٩٥) عن أنس بن مالك .
(٤٧) كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟، د/ يوسف القرضاويّ ص ١٦٩ .

وما تركز عليه رؤيتنا التطلعية بخصوص (الاستيثاق من ثبوت السنة وصحتها) يتلخص في **ضرورة استكمال شروط نقد الرواية**، وذلك عن طريق توجيه أنظار الباحثين إلى الاهتمام بدراسة المتون ونقدها قدر اهتمامهم بدراسة الأسانيد ونقدها؛ لأنه مما يؤسف له في

والحديث الشاذ عرفه ابن حجر : « ما رواه المقبول مخالفًا لمن هو أولى منه » ، وهذا هو المعتمد في تعريف الشاذ بحسب الاصطلاح . (١)

والحديث المعلَّل هو : « الحديث الذي ظاهره السلامة واطلع فيه بعد التفتيش على علة تقدح في سلامته » .(٢)

ومن تعريف الشاذ والمعلل يتأكد لنا ضرورة إن لا يتوقف الباحث عن حكم الحديث عند صحة إسناده ، وإنما ينبغي أن يتجاوز إلى البحث في المتن .

وتتمثل مقاييس نقد متون السنة التي وضعها نقاد الحديث في الآتي:

المقياس الأول : عرض الحديث على القرآن .

المقياس الثاني : عرض روايات الحديث الواحد بعضها على بعض.

المقياس الثالث : عرض السنة بعضها على بعض .

المقياس الرابع: عرض سنن الحديث على الوقائع والمعلومات التاريخية .

المقياس الخامس:مخالفة الحديث للأصول الشرعية والقواعد المقررة.

---

(٤٨) شرح نخبة الفكر ص٣٦

(٤٩) انظر مقدمه ابن الصلاح ص ١٩٤.

المقياس السادس: ركاكة لفظ الحديث وبُعْد معناه .

المقياس السابع : اشتمال الحديث على أمر منكر أو مستحيل .

وقد جمع هذه المقاييس وأجاد في عرضها الدكتور / مسفر الدميني في أطروحته للدكتوراه المعنوية بـــ (مقاييس نقد متون السنة) ، وختم الحديث عنها بالرد العلمي المنهجيّ على شبهة المستشرقين ومن تابعهم في اتهامهم للمحدثين بالاهتمام بنقد الأسانيد وإهمال نقد المتون ، وإن كان عرضه الجيد لمقاييس نقد السنة التي وضعها نقاد الحديث يعد بمثابة الرد المفصل على مثل تلك الاتهامات .

وتحتاج قضية (فهم السنة النبوية) وبلورة مناهج الفهم ومقاييس وضوابط نقـــد المتون هي قضية مهمة إلى كثير من الجهود العلمية والدراسات الجادة ، لكي تستعيد السنة دورها الإيجابيَّ الفعال في بناء الحياة الإسلامية المعاصرة .

ومن أهم مناهج الفهم ومقاييس وضوابط نقد المتون: (فهم السنة في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية) ، وبيان ذلك على النحو التالي :

١ـــ يجب التأكيد على أهمية فهم السنة في ضوء القرآن الكريم للوصول إلى أفضل الفهم وأحسنه للسنة ، فربما كان الحديث مخصِّصاً لما عممه القرآن ، أو مفصلاً لما أجمله ، أو مقيدًا لما أطلقه ، أو موضحًا لمعنى من المعاني ، وهذا كله يقربنا للفهم الصحيح للسنة .

والرؤية التطلعية لما يتعلق بهذا الخصوص تدعو إلى ما يلي :

(أ) أن تكون العلاقة الجذرية بين القرآن والسنة التي يوضحها قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (سورة النحل من الآية ٤٤) ماثلة في الأذهان ؛ لأن البعض ــ نتيجة حرصه على السنة والدفاع عنها ــ يقع في خلل منهجي دون أن يدرى ؛ وذلك بأن يقدم السنة على القرآن في الاستدلال والفهم ، حتى إنه ليتحدث بالحديث ساعة من الزمان ، أو يكتب الصفحات العديدة فيكثر الاستدلال بالسنة ، ويسرد الحديث تلو الآخر ، ولا يستدل إلا بالقليل من الآيات ، ويأتي بها متأخرة [١] ، وهذا تقديم للأصل الثاني على الأصل الأول ، وهو ما نربأ بالباحثين أن يقعوا فيه.

(ب) أن يكون فهم السنة في ضوء القرآن مؤسسًا على أن البيان النبوى يدور أبدًا في فلك الكتاب العزيز لا يتخطاه ، ولهذا لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض ممكنات القرآن الكريم وبيناته الواضحة ، وإذا ظن بعض الناس وجود ذلك فلابد أن تكون السنة غير صحيحة ، أو يكون فهمنا لها غير صحيح ، أو يكون التعارض ظاهريًّا لا حقيقيًا .[١]

(ج) أن لا يتوسع في دعوى تعارض الأحاديث مع الآيات القرآنية ، دون أن يكون لذلك أساس صحيح ، كما فعل المعتزلة حين اجترؤوا على رد الأحاديث الصحيحة المستفيضة في إثبات الشفاعة في الآخرة للرسول صلى الله عليه وسلم ولإخوانه الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين في عصاة الموحدين ، بحجة أن هذا يتعارض مع القرآن الذي نفي شفاعة الشافعين والصحيح أن من يقرأ القرآن لن يجد فيه إلا نفي (الشفاعة الشركية) ، والتي كان يعتقدها المشركون من العرب والمحرفون من أصحاب الديانات الأخرى

(٥٠) انظر :منهجية التعامل مع السنة النبوية ، د/عبد الجبار سعيد ص ٦ .
(٥١) كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ د / يوسف القرضاوي ص ٩٣ .

كما في قوله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [سورة غافر من الآية ١٨] إلى غير ذلك مما هو وارد بهذا الخصوص .

والصحيح أيضًا أن القرآن الكريم أثبتت الشفاعة بشرطين ، **أولهما** : أن تكون بعد إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ، قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة من الآية ٢٥٥]، **وثانيها** : أن تكون الشفاعة لأهل التوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [سورة الأنبياء ــ من الآية ٢٨]. (١)

٢ ــ ويجب التأكيد على أهمية عرض السنة على السنة سندًا ومتنًا، وذلك عن طريقين :

الأول : عرض الروايات المختلفة الواردة في حديث واحد بعضها على بعض .

الثاني : جمع الأحاديث المقبولة الواردة في الموضوع الواحد .

وتشدد الرؤية التطلعية لكاتب هذه السطور على ضرورة تفعيل هذا الضابط المنهجيّ لما سيحققه من نتائج بحثية مهمة :

(أ) فعن طريق عرض روايات أو طرق الواحد الحديث بعضها على بعض ستظهر للمحدث الناقد أمور مهمة ، فقد يتبين له أن بعض الألفاظ الواردة في المتن ليست من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنها مدرجة (١) من أحد الرواة ، وقد يتبن له أن في الحديث (اضطرابًا) (٢) يمنع

---

(٥٢) انظر: كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ د / يوسف القرضاويّ ص ١٠٢ .
(٥٣) الحديث المدرج :هو الحديث الذي اطلع في متنه أو إسناده على زيادة ليست منه ، وينقسم إلى : مدرج المتن ومدرج الإسناد... راجع في التعريف بقسميه والتمثيل لهما : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ١ / ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ، ط/ دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
(٥٤) الحديث المضطرب : هو الذي يروى على أوجه مختلفة متقاربة ، فإذا رجحت إحدى الروايتين على الأخرى بحفظ راويها أو كثرة صحبته المروى عنه ، أو غير ذلك ، فالحكم للراجحة ولا يكون مضطربًا ، والاضطراب يوجب ضعف الحديث لإشعاره بعدم الضبط ، ويقع في الإسناد تارة وفي المتن أخرى وفيها من راو أو جماعة ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوى للسيوطي ٢٦٢/١ .

من ترجيح رواية على أخرى ، أو أن فيه (قلبًا) [1] نشأ من عدم ضبط أحد الرواة لذلك المتن ، أو وقع فيه (تصحيف أو تحريف) [2] أخل به ، كما قد يتبين للمحدث زيادة ألفاظ في بعض الروايات أو إحداها ــ ليست في الروايات الآخرة ، وهكذا : ستظهر كثير من هذه الأمور وغيرها للمحدث الناقد عند استعراضه لتلك الروايات .[3]

(ب) وعن طريق جمع الأحاديث المقبولة الواردة في الموضوع الواحد سيتلافي الباحث الوقوع في خطأ منهجي ، تضل بسببه الإفهام وتزل فيه الأقلام ، وذلك بأن يُـنْـتَقى حديثٌ في مسألة ما دون بقية الأحاديث الأخرى ذات العلاقة ، وأن يتم فهمه وتفسيره بشكل جزئي ، يختلف في دلالته عما لو فهم في ضوء الأحاديث الأخرى الواردة في ذات الموضوع ، كالاستناد إلى ما ورد في السنة مطلقًا من الإنكار الشديد على كل من أطال ثوبه ، من مثل ما ورد في صحيح البخاري عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: « **ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار** » [1] دون الرجوع إلى جملة الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الموضوع ، من مثل ما ورد في صحيح البخاري في موضوع آخر عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** ، قال أبو بكر : يا رسول الله ، إن أحد شِقيْ إزاري يسترخى ، إلا أن أتعاهد ذلك منه ، فقال النبيّ

---

(٥٥) الحديث المقلوب : هو الحديث الذي بدل فيه لفظ بآخر في سند الحديث أو متنه تقديمًا أو تأخيرًا وعلى هذا، فالقلب يكون في الإسناد كما يكون في المتن ٠٠٠٠ انظر : تدريب الراوي للسيوطي ١/ ٢٩١، ٢٩٢

(٥٦) الحديث المصحف : هو الذي يكون فيه تغيير حرف أو حروف من حيث النقط مع بقاء صورة الخط في السياق وهيئته ، والحديث المحرف : هو ما كان فيه ذلك التغيير من جهة الشكل أي الحركات والسكنات ، والتصحيف والتحريف قد يقعان في الإسناد ، أو في المتن ، أو فيهما معًا .... راجع : شرح نخبة الفكر لابن حجر ص ٩٤ .

(٥٧) انظر مقاييس نقد متون السنة د/ مسفر الدميني ص ١٣٣ ــالطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م .

(٥٨) صحيح البخاري كتاب (اللباس ــباب ما أسفل من الكعبين فهو في النار ٢٤/٤.

صلى الله عليه وسلم: « **لست ممن يصنعه خيلاء** » [1] ، إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية الصحيحة التي إذا ضمت إلى بعضها تبين لنا بحق ما رجحه النووى وابن حجر وغيرهم أن الإطلاق محمول على ما ورد من قيد (الخيلاء) فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق .[2]

فعلى الباحثين أن يدركوا جيدًا أن الاكتفاء بظاهر حديث واحد ، دون النظر في سائر الأحاديث وسائر النصوص المتعلقة بموضعه كثيرًا ما يوقع في الخطأ ، ويبعد عن جادة الصواب ، وعن المقصود الذي سيق له الحديث.[1]

(ج) وأيضًا عن طريق جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد سيقف الباحث على جملة من خصائص وسمات التشريع ، ومن أبرزها : التدرج ، ومراعاة الواقع ومعالجته بما يناسب كما في أحاديث ادخار الأضحية وغيرها .[2]

٣ ــ ويجب التأكيد على أهمية ربط الأحاديث النبوية بالرؤية الكلية الشمولية لمقاصد الشريعة الإسلامية : فإن الفهم الظاهري الحرفي للنص النبوى بعيدًا عن مقاصد الشريعة وغاياتها يُعدُّ من أهم مظاهر الخلل في منهجية التعامل مع السنة النبوية ؛ لأنه يوقع الناس في الحرج والضيق ، ولا يخفي تعارض هذا مع ما في الدين من رفع للحرج والمشقة من الناس ،

---

(٥٩) صحيح البخاري ـ كتاب اللباس والزينة ـ باب من جر إزاره من غير خيلاء ٤ /٢٣،٢٤ ، وانظر في تخريج صدر هذا الحديث : صحيح مسلم ـ كتاب اللباس ـ باب تحريم جر الثوب خيلاء ١٦٥٢/٣ حديث رقم ٢٠٨٥ .

(٦٠) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٧٩٥/٤ ، ط. دار الشعب بالقاهرة ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٢٦٣ ط / دار المعرفة ببيروت .

(٦١) كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ د / يوسف القرضاوي ص ١٠٨ .

(٦٢) منهجية التعامل مع السنة النبوية د / عبد الجبار سعيد ص ١٠ .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [سورة البقرة الآية ١٨٥] وقال سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج آية ٧٨] .

ويمكن أن يمثل لهذا الخلل : بتمسك البعض بالفهم الظاهري لقول أبى سعيد الخدري : « كنا نخرج إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعًا من طعام ، أو صاعًا من أقط ، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر ، أو صاعًا من زبيب » [١] ، وعليه فلا يجوز عند هؤلاء إخراج زكاة الفطر من غير هذه الأصناف ، كما لا يجوز إخراج قيمتها نقدًا، دون اعتبار لمصلحة الفقير التي تتفاوت من مكان إلى مكان.

وهذا القول وإن كان يوافق ظاهر النص ، إلا أنه يهمل مقصد الشريعة المتمثل في تحقيق مصلحة الفقير وسد حاجته ، وتيسير أمر الصدقة على من أراد إخراجها [١] ، والأقرب إلى تحقيق هذا المقصد ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة وأصحابه وهو قول عمر بن عبد العزيز وأصحابه من فقهاء السلف من جواز إخراج زكاة الفطر نقدًا حيث لاحظوا أن المقصود هو إغناء الفقراء والمساكين عن السؤال والطواف في هذا اليوم .[٢]

ومما لا شك فيه أن فقه واقع المسلمين في هذا الزمان يؤكد وجاهة هذا القول ، إذ إن إغناء الفقراء والمساكين عن السؤال وإشراكهم فرحة العيد يتحقق ــ في كثير من الأحيان ــ بدفع القيمة أكثر مما يتحقق بدفع الأطعمة العينية .

---

(٦٣) صحيح مسلم ـ كتاب الزكاة ـ باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير ٢ / ٦٧٨ حديث رقم (٩٨٥) .

(٦٤) انظر منهجية التعامل مع السنة النبوية – د/عبد الجبار سعيد ص ٦ .

(٦٥) انظر : كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ د / يوسف القرضاوي ص١٣٥ – ١٣٧ ..... ، وفيه رد علمي مسهب على الذين تمسكوا بالفهم الظاهري لهذا الحديث دون النظر إلى روح الشريعة ومقاصدها .

ومما لا شك فيه أيضًا أن هذا يعد عملاً بروح التوجيه النبوى ومقصوده ، وبهذا يتم التزاوج بين فقه النص وفقه الواقع ، مما يمكن أن نصطلح عليه بـــ (حسن تنزيل النص على الواقع) .

وتلفت الرؤية التطلعية لربط الأحاديث النبوية بالمقاصد الشرعية نظر الباحثين إلى التميز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت للحديث ، فإن من أسباب الخلط والزلل في فهم الســـنة أن بعض الناس خلطوا بين المقاصد والأهداف الثابتة التي تسعى السنة إلى تحقيقها ، وبين الوسائل الآنية والبيئية التي تعينها أحيانا للوصول إلى الهدف المنشود ، فنراهم يركزون كل التركيز على هذه الوسائل ، كأنها مقصودة لذاتها ، مع أن الذي يتعمق في فهم السنة وأسرارها ، يتبين له أن المهم هو الهدف ، وهو الثابت والدائم ، والوسائل قد تتغير بتغير البيئة أو العصر أو العـــرف أو غير ذلك من المؤثـــرات .[١]

ولهذا تجب الإفادة من منهج الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ومن تبعهم بإحسان في النظر إلى علل النصوص ومقاصدها ، فقد تركوا العمل بظاهر بعض الأحاديث ، حين تبين لهم أنها كانت تعالج حالة معينة في زمن النبوة ، ثم تبدلت تلك الحال عما كانت عليه .

ومن ذلك أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قسم خيبر بين الفاتحين ، ولكن عمر لم يقسم سواد العراق ، ورأي أن يبقيه في أيدى أربابه ، ويفرض الخراج على الأرض ، ليكون مدادًا دائما لأجيال المسلمين [٢] وفي ذلك يقول ابن قدامة : « وقسمة النبيّ صلى الله عليه وسلم خيبر كانت في بدء الإسلام وشدة الحاجة ، فكانت المصلحة فيه وقد تعينت المصلحة فيما بعد في وقف الأرض ، فكان هو الواجب » .[٣]

---

(٦٦) المرجع السابق ص ١٣٩ .
(٦٧) المرجع السابق ص ١٣٠
(٦٨) المغنى لابن قدامة ٣٠٨/٢ ط دار الفكر بيروت.

مصادر البحث ومراجعه :

* **القرآن الكريم .**

١. البحث العلمي ومناهجه النظرية: رؤية إسلامية، د/ سعد الدين صالح، ط. مكتبة الصحابة – جدة.

٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوى : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ــ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ــ ط دار الكتب الحديثة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .

٣. تطور دراسات السنة النبوية ونهضتها المعاصرة وآفاقها : للدكتور فاروق حمادة ــ ط . دار إحياء العلوم ــ بيروت ــ ودار الثقافة ــ الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

٤. الجامع الصحيح (وهو سنن الترمذي) : لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٣٩٧ هـ تحقيق وشرح / أحمد محمد شاكر ــ ط . دار الفكر .

٥. سنن أبى داود : لأبى داود سليمان الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ــ مراجعة وتعليق / محمد محيي الدين عبد الحميد ــ ط . دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، لبنان .

٦. السنة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ : للدكتور مصطفي السباعي ــ ط . المكتب الإسلاميّ ، بيروت ــ الطبعة الرابعة ١٩٨٥ م .

٧. شرح نخبة الفكر : لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ــ طبعة مصطفي الحلبي بالقاهرة .

٨. شرح النووي على صحيح مسلم : لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ــ ط. دار الشعب بالقاهرة د.ت.

٩. صحيح البخاري : للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ بحاشية السندي ـ ط . دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .
١٠. صحيح الجامع الصغير : لمحمد ناصر الدين الألباني ـ منشورات المكتب الإسلاميّ ، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ، / ١٩٦٩م .
١١. صحيح سنن أبى داود : لمحمد ناصر الدين الألباني ـ ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
١٢. صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة ٢٦١ هـ ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ ط. دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .
١٣. مقدمة ابن الصلاح : لتقي الدين عثمان بن عبد الرحمن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ ـ تحقيق الدكتورة / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م .
١٤. علم أصول الفقه : للشيخ عبد الوهاب خلاف ـ مكتبة الدعوة الإسلامية بالقاهرة ـ الطبعة الثامنة .
١٥. علوم الحديث : للدكتور إسماعيل سالم ـ ط. دار الثقافة العربية بالقاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.
١٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لأحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ـ ط. دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٧٩ هـ .

١٧. الفقه الإسلاميّ في طريق التجديد : للدكتور محمد سليم العوا ــ ط. المكتب الإسلاميّ ــ الطبعة الثانية ــ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م .
١٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير : لمحمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ ــ ط. دار المعرفة ، بيروت ــ الطبعة الثانية ١٣٩١هـ .
١٩. كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ معالم وضوابط : للدكتور يوسف القرضاويّ ــ ط. دار الوفاء بالمنصورة ــ الطبعة الثانية ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م .
٢٠. لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور ، ط. دار صادر ، بيروت .
٢١. اللمع في أسباب ورود الحديث : للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ــ تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل ــ ط. دار الوفاء بالمنصورة ــ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
٢٢. المحلى بالآثار : لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ــ ط. دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
٢٣. مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين : للدكتور نافذ حسين حماد ــ ط. دار الوفاء بالمنصورة الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
٢٤. المدخل إلى توثيق السنة وبيان مكانتها في بناء المجتمع الإسلاميّ : للدكتور رفعت فوزي ــ نشر مؤسسة الخانجي بمصر ــ ١٩٧٨م..
٢٥. المدخل لدراسة السنة النبوية : للدكتور يوسف القرضاويّ ــ ط. مكتبة وهبة بالقاهرة ــ الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م .
٢٦. المستدرك على الصحيحين : لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ــ تحقيق / مصطفي عبد

القادر محمد ــ ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م .

٢٧. المغنى : لموفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ ــ ط. دار الفكر ، بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٢٨. مقاييس نقد متون السنة : للدكتور مسفر عزم الله الدميني ــ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٩. مناهج البحث العلمي ، د/ عبد الرحمن بدوي ، ط. الكويت .

٣٠. مناهج البحث العلمي في الإسلام ، غازي حسين عناية، ط. دار الجيل، بيروت- لبنان .

٣١. منهج البحث في العلوم الإسلامية ، د/ محمد الدسوقي، ط. دار الثقافة قطر ، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.

٣٢. منهج النقد في علوم الحديث : للدكتور نور الدين عتر ــ ط . دار الفكر .

٣٣. منهجية التعامل مع السنة النبوية : للدكتور عبد الجبار سعيد ــ بحث منشور بمجلة إسلامية المعرفة التي يصدرها المعهد العالمى للفكر الإسلاميّ ــ العدد ١٨ ، وقد اطلعت عليه عبر موقع المجلة على الإنترنت :http://eiiit.org/article read.asp?artic/eid